# الصرائف
# في بغداد

## متى ظهرت ؟!
## وكيف أختفت ؟!

تأليف
بكر مصطفى سالم
تقديم
رفعت عبد الرزاق محمد

منشورات
مطبعة الشطري
بغداد / شارع المتنبي

# الصرائف في بغداد


تأليف
بكر مصطفى سالم

تقديم
رفعت عبد الرزاق محمد




رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد ٣١٩ لسنة ٢٠٠٥

الطبعة الأولى
بغداد – ٢٠٠٥

# الصرائف في بغداد

## صفحة سوداء في تاريخ العراق الحديث

ذكر الاستاذ عبد الكريم الازري في ذكرياتـــه الموســـومة (تاريخ في ذكريات) انه في اواخر سنة ١٩٥٤ طلـــب مـــن رئيس الوزراء نوري السعيد ان يذهب ليرى بأم عينيه وضع المهاجرين من جنوب العراق وخاصة من لواء العمارة الذين كانوا يتكدسون فيما كان يسمى وقتئذ بـــ (العاصمة)، وهـــي قطعة ارض واسعة تقع الى الشرق من بغداد خلف سدة ناظم باشا التي اقيمت لحماية بغداد من الفيضانات، وكانـــت تلـــك الارض مغطاة بالمستنقعات وتصب فيها مياه بغداد القـــذرة وفي وسطها جزر اقيمت عليها اكواخ من القصب والبردي.

هنا كانت تتكدس هذه المجموعة البائسة من المهـــاجرين من جنوب العراق باعداد هائلة وقد ساقتهم ظروفهم والظلـــم الاجتماعي الذي كانوا يقاسونه في مواطنهم الريفية باهمـــال الحكومات لهم الى الهجرة الى بغداد والاقامة فـــوق الميـــاه الآسنة القذرة السوداء مع حيوانـــاتهم، وكـــان منظـــرهم ، وخاصة اطفالهم العراة يتخبطون في الاوحال ويتعرضـــون



للغرق في تلك المياه القذرة، يفتت الاكباد ويــدمي القلــوب. وهناك ترى الكرامة الانسانية وقد هدرت هدرا.

ويضفي الازري قائلا: هذا الوضع حفزني على الالحــاح على معالجة مشكلتهم من ناحيتين ، ناحية تشريع قانون منح اللزمة في لواء العمارة لتأمين حصة من الاراضي الزراعية لا تقل عن نصف المقاطعات للفلاحين ومن ناحيــة تشــريع قانون تصحيح صنف الاراضي في بغــداد وســائر انحــاء العراق لتأمين مساحات واسعة من الاراضي السكنية للــذين يقررون البقاء في بغداد، ومعظمهم كانوا مصــممين علــى البقاء فيها، وكنت ازورهم واسألهم: لماذا تركتم لواءكم لكي تعيشوا في هذا الوضع البائس؟ كانوا يجيبونني : ان وضعنا هذا الذي تراه، على سوئه افضل بكثير من وضعنا الذي كنا فيه هناك في لواء العمارة، اننا نجد هنا على الاقل، مجــالا للعمل مهما كان وضيعا، نؤمن به رغيف العيش فلا نمــوت جوعا ونكسي به انفسنا فلا نمشي عراة...

وقلت لنوري السعيد اني مستعد ان ارافقك واتجول معــك واريك الاوضاع على حقيقتها. وسترى الحقيقة اسوأ بكثيــر من وصفي، وقد استجاب نوري السعيد لرجائي ولكنــه لــم

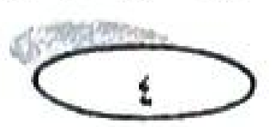


يطلب مرافقتي له، وذهب بصحبة عبد الجبار فهمي متصرف بغداد آنذاك، والذي اعتقد انه لم يره اسوأ الاماكن، وفي اليوم التالي جاءت عدة نداءات تلفونية من ديوان رئاسة الوزراء ، سكرتير مجلس النواب انور النقشلي تطلب اليه ابلاغي ان رئيس الوزراء كان بانتظاري في مكتبه، وما ان وصلت مجلس النواب حتى بادرني انور النقشلي ان رئيس الوزراء ينتظرك في مكتبه في ديوان مجلس الوزراء ويرجو حضورك بسرعة، فذهبت توا الى هناك ورأيته متأثرا كثيرا مما رأى، وقال انه لم يكن يتصور ان الوضع كان على هذه الدرجة من السوء، ان عيشة هؤلاء اسوأ من عيشة الحيوانات، ثم اخبرني انه قد امر باتخاذ بعض الاجراءات المؤقتة المستعجلة كشق بعض الطرق وايصال القوة الكهربائية لانارة الطرق وتمديد انابيب مياه الشرب وتزويد تلك الاحياء بحنفيات عامة ريثما تعالج مشكلتهم معالجة اساسية، فقلت له: اني اشكرك على ذلك، مع ان ذلك لا يعالج المشكلة، ان المشكلة يجب ان تعالج هناك، في لواء العمارة لكي نحول دون هجرة الاخرين، وذلك بتوزيع الاراضي الزراعية عليهم، وثانيا بمنح هؤلاء في بغداد بقطع اراضي

سكنية مجانا ومساعدتهم، اما ببعض المبالغ النقدية او بمواد بنائية او بقيام الدولة ببناء بيوت لهم، وهذا هو الافضل من جميع الوجوه.

ثم دفع نوري السعيد اليّ بتقرير كان قد سلمه اياه عبد الجبار فهمي ، كانت قد وضعته لجنة مؤلفة من كبار الموظفين، وقد وجدته تقريرا مليئاً بالحقد على هؤلاء البؤساء، وكأنهم ليسوا مواطنين عراقيين، وقد صبت اللجنة جام غضبها عليهم لا لذنب اقترفوه سوى انهم جاءوا باعداد كبيرة الى بغداد فغيروا وضعها الديموغرافي واخذوا يضايقون سكانها الاصليين.. وقد طالب واضعوا التقرير ان لا تسهل الدولة لهم سبل البقاء في بغداد-باعطائهم اراضي سكنية او بناء دور لهم مثلا وان تسعى جاهدة لحملهم على الرجوع من حيث اتوا..

ومما له صلة بهذا الامر، ما ذكره عدد من مؤرخي العهد الملكي من ان نوري السعيد كان بصدد التفاوض مع الجهات البريطانية حول حقوق العراق من عائدات النفط، وقد اصطحب السفير البريطاني في بغداد ووقفا على سدة بغداد الشرقية واطلعا على مظاهر البؤس بين سكان الصرائف التي

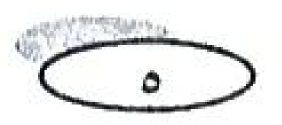


تضم الالاف من الاسر الفقيرة، ويقال ان نوري السعيد خاطب السفير بقوله:

-العراق دولة نفطية كبيرة وعدد كبير من سكانه هكذا يعيشون بسبب قلة موارده من ثرواته الدفينة!

ولكن .. ما السبب في ظهور مجتمع (الصرائف في بغداد) منذ الثلاثينيات من القرن المنصرم؟

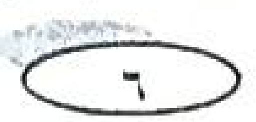
والحقيقة ، ان الاجابة الواضحة التي لا تقبل اللبس لا تخرج عن الاقطاع المقيت الذي شهده جنوب العراق بكل تفاصيله القاسية من ظلم وعسف واستهتار بالقيم الانسانية، ولا ريب ان الاقطاع الذي تجلى في جنوب العراق، دون غيره من جهات العراق كانت نتيجة لما سمي بنظام الارض الذي يعد المسؤول عن الاجحاف في توزيع الدخول وانعدام سياسة زراعية ثابتة، وهو الذي حول الفلاحين الى ارقاء لا مشاركين، وقد تجسد الامر بجلاء بعد الاحتلال البريطاني للعراق، فقد شرعت في عهود الاحتلال والانتداب والاستقلال عدة قوانين لتعيين ملكية الارض وتنظيم الحياة الزراعية اهمها: قانون تسوية الاراضي لسنة ١٩٣١ وقانون اللزمة لسنة ١٩٣٢ وقانون حقوق وواجبات الزراع لسنة ١٩٣٣



وغيرها، وكلها لخدمة السياسة البريطانية في تشجيع الاقطاع والملكيات الكبيرة التي وزعت على الشيوخ الذين ابدوا تعاونا مع السلطة المحتلة او نحو ذلك.

وكانت هذه القوانين قد خدمت مصالح الاقطاعيين وثبتت حقوقهم التي اكتسبوها بطرق غير عادلة، فدعمت الاقطاع وكرسته واضرت بمصالح الفلاحين وخاصة في جنوب العراق حيث جعلت الامر ملكا بيد الشيوخ وابناء الاسر المتنفذة في المدن وكبار الملاكين، وقد بلغت ملكية قسم منهم للارض مساحة كبيرة زادت على النصف مليون مشارة.

وذكرت الاحصاءات ان (٢٧٢) ملاكا كان يمتلكون ٦ ملايين دونم ، وان سيئات الاقطاع وفساده تجلى بكل وضوح في لواء العمارة ،فقد كانت الاراضي المعمورة او المزروعة في هذا اللواء ملكا للدولة فتقوم بتأجير الاراضي الزراعية الى الاقطاعيين والشيوخ، ويتصرف ١٧١ ملاكا بالاراضي الزراعية باللواء والبالغة مساحتها ٣,٥٠٠,٠٠٠ دونم ويمتلك سبعة من هؤلاء الاقطاعيين ملكيات كبيرة تتراوح مساحة الواحدة منها بين ١٠٠ الف دونم الى ٤٠٠ الف دونم، اما



في لواء الكوت فقد كان بلاسم الياسين وعبد الله الياسين ومحمد الحبيب يملكون معظم اراضي هذا اللواء، ويذكر الاستاذ محمد حسن الصوري في كتابه عن الاقطاع في لواء الكوت . ان الشيخ محمد الحبيب يمتلك ٢١١٣١٦,٠٧ دونم ممنوحة باللزمة عدا الاراضي المفوضة بالطابو والمملوكة ملكا صرفا...

وذكر السفير الامريكي ببغداد (ولدمار نولمن) في كتابه الشهير عن العراق في عهد نوري السعيد عند حديثه عن قصبة الحي ان السبب الرئيس للتسلط الذي ادى الى هروب الناس بعيدا عن اراضيهم الزراعية يلقى عاتق الشيخين الحاكمين هناك، ويقصد بلاسم وعبد الله الياسين.

ولكن ..

لا اريد التفصيل عن الموقف الوطني لهؤلاء الشيوخ، وحسبك ان تعرف ان ثورة العشرين (الثورة العراقية الكبرى)، لم تجد لها اي صدى في العمارة والكوت...!

في عام ١٩٣٢ اصبح بشكل قانوني ان الاراضي الزراعية الشاسعة ارست دعائم النظام الاقطاعي بحجة المحافظة على الولاء العشائري، اصبح ٨٥% من مجموع الاراضي



الزراعية موزعة على ٣٥ الف مالك فقط، ومن المفيد ذكره ان الدكتور علي الوردي لاحظ نقطة جديرة بالتنبه بقولـــه ان هذه القوانين قد ارست دعائم العلاقة الاجتماعية الضعيفة في الريف، فبعد ان كان شيخ القبيلة يعيش بين افراد عشيرته ولا يتميز عنهم الا بحنكته واخلاصه لهم، اصبح ملاكا لـــلارض وانغمس في حياة الترف واللذة المشروعة وغير المشـــروعة وهجر اغلبهم مناطق قبائلهم واخذوا يسكنون المدن (دراســة في طبيعة المجتمع العراقي ص ٢٠٢) .

ان الفلاح العراقي قبل ١٤ تموز ١٩٥٨ اصبح لا يملـــك ارضا وانما هو يزرع في بقعة من الارض يخصصها شـــيخ القبيلة له، ويحصل على حصة قليلة لا تكفيه لمعاشه ومعيشة اسرته واصبح دخله لا يذكر، كما يفتقر الفلاحـــون الـــى اي ضمانات ضد استغلال الملاكين، واصبح حالهم مترديا اكثر مما كان عليه في العهد العثماني ، كما اصبحوا لا يختلفـــون كثيرا عن العبيد ولا يرتبطون بالارض الا برباط العشـــيرة التي تشوهت طبائعها الاولى فتحولت الـــى خضـــوع واذلال واستغلال ،هكذا قل الانتاج لانعدام الدافع لرفعه.

ورحم الله احمد الصافي النجفي عندما نظم قصيدته:



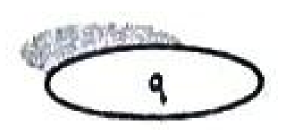
رفقا بنفسك ايها الفلاح تسعى وسعيك ليس فيه فلاح

لقد ادرك الكثير من الفلاحين هذا الوضع المزري،فأخذوا بالهجرة من الريف الى المدينة ولا سيما بغداد والبصرة، لتظهر مجمعات سكانية كبيرة تفتقر الى ابسط مقومات العيش الكريم،سميت بالصرائف.

•ومن محاسن الايام- وما اقلها- ان يطلعني الاخ نعيم الشطري الكتبي على مخطوطة كتاب (الصرائف في بغداد) للاستاذ الفاضل بكر مصطفى السالم،وقد وجدت ان كاتبها قد بلغ الغاية في بيان احوال الحياة في (الصرائف) التي كانت تعد وصمة سوداء في تاريخ العراق الملكي، بلغة ادبية جميلة وعبارة موجزة غير مخلّة . ولعل الاستاذ السالم يتحفنا بذيل لكتابه عن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المتولدة عن مجتمع (الصرائف) ، وتلك قضية لم تعد خافية على الباحث الفاضل، فلهُ-على اي حال- الثناء الجزيل لمحاولته الجريئة والقيمة،واملنا كبير ان تطلع مخطوطته قريبا لما فيها من معلومات اجتماعية وفوائد تاريخية.

**رفعت عبد الرزاق محمد**

**بغداد**



## الصرائف في بغداد

متى؟ وكيف ظهرت؟ومتى ،وكيف اختفت؟

بكر مصطفى السالم

## كلمة تمهيدية

كانت الصرائف تغطي مساحات واسعة من مدينة بغداد،في جانبيها الشرقي والغربي،أي الرصافة والكرخ،وتضم في احشائها المظلمة العفنة،مئات الالوف من ابناء شعبنا التعساء، النازحين من مواطنهم الاصلية في العراق،واغلبهم من مواطني محافظتي ميسان وواسط.

وكان وجود مثل هذه الصرائف في بغداد العاصمة، يعتبر وصمة عار على جبين بلد كالعراق،الذي يتمتع بخيرات طبيعية كثيرة ،ومن ارض واسعة خصبة،ومياه وافرة ثرة في انهار كبيرة وبحيرات واهوار واسعة،وشمس ساطعة ،ومناخ صالح للزراعة في مواسم السنة كلها، مع وفرة انواع المعادن في باطن ارضه وعلى ظهره ،كالنفط والكبريت والفوسفات والزئبق والقير والفحم الحجري والملح،حتى اليورانيوم الذي اكتشف اخيرا ،كما يقال.. وغير ذلك من الركاز المطمور غير المكتشف.



ومع هذه النعم الوفيرة كلها، التي خصنا الله تعالى بها،كان غالبية شعبنا تشكو الفقر والحرمان، مما دفعتها الى هجر مواطنها الاصيلة للبحث عن العمل ولقمة العيش،في اماكن اخرى،كبغداد والبصرة باعتبارهما من المدن الكبيرة.

وقد قال الشاعر المصري حافظ ابراهيم ،يرحمه الله،بيتا من الشعر ،يصف حال شعبه المصري في زمانه:

أيشتكي الفقر غادينا ورائحنا؟

ونحنُ نمشي على أرضٍ من الذهبِ

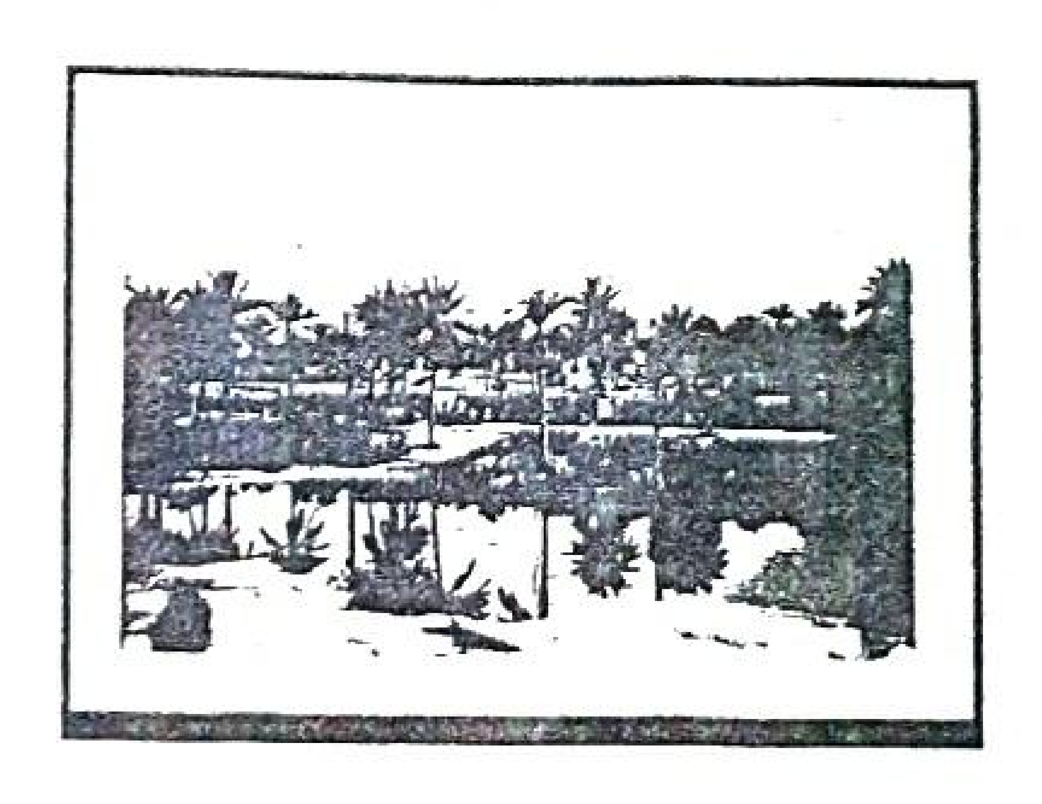
وقد يصدق هذا القول فينا نحن العراقيون اكثر من شعب مصر لان ثراء مصر ليس كثراء العراق، من حيث سعة مساحة اراضيه الصالحة للزراعة،ووفرة المعادن المختلفة فيه،واستغلال النفط من آباره النفطية الكثيرة من قبل الشركات الاجنبية ،التي تجني من بيعه اموالا طائلة لقاء اربعة شلنات للبرميل الواحد منه للعراق.

**بداية ظهور الصرائف**

لا نريد ان نحدد هذه البداية باليوم والسنة،وذلك ليس بمقدرونا الان ،وليس من المهم في بحثنا هذا، وانما يمكننا ان نقول: ان بداية ظهور هذه الصرائف في بغداد، منذ أن ظهر



النظام الاقطاعي في العراق في ثلاثينيات القرن العشرين. وتحول بعض شيوخ العشائر الى ملاك واصحاب مقاطعات زراعية كبيرة، حيث تحولت العلاقات العشائرية الحميمة،والحياة المعاشية المشتركة بين الشيوخ وابناء عشائرهم الى علاقات مادية استغلالية بحتة وروح استعلائية.



ان الدراسات الاجتماعية لاحوال العراق تقول: إن ظاهرة هجرة الفلاحين من الريف الى المدن،بدأت بشكل واسع منذ ظهور النظام الاقطاعي بعد الاحتلال الانكليزي للعراق عام ١٩١٧، وكان النظام العشائري في العراق قبل ذلك نظاما



ابويا، حيث يعتبر شيخ العشيرة ابو العشيرة وحاميها،كما هو رئيسها المطاع،فأنه كان يعيش مع ابناء عشيرته،وحاله من حالتهم،ومضيفه الخاص،هو مضيف لكل افراد العشيرة.

ولكن الاستعمار الانكليزي،والتابعون لارادته من الحكام العراقيين،استطاعوا بوسائل الاغراء ان يعزلوا الشيخ عن افراد عشيرته،وحملوه على سكن القصور في المدن، وخاصة في العاصمة بغداد عندما يصبح نائبا في المجلس النيابي، او عينا في مجلس الاعيان، وعلّموه على شرب المسكرات،وولوج الملاهي والمراقص ولعب الميسر،فبمرور الايام وهنت علاقته الابوية والروحية مع افراد عشيرته،وبقيت علاقته الرئاسية السلطوية،وخاصة عندما ملّكته الحكومة الاقطاعيات الكبيرة من الاراضي الزراعية الاميرية اي (العائدة للدولة) ،في محافظة ميسان و محافظة واسط، بموجب قانون خاص وسميت هذه الاقطاعيات بـ(الاراضي المفوضة بالطابو) و (الاراضي الممنوحة باللزمة).

ولما كانت هذه الاقطاعيات لا يمكن زراعتها وادارتها من قبل الشيوخ وحدهم،لهذا اوكلت ادارتها الى اشخاص اخرين



يسمون السراكيل،وملتزمين ثانويين،بعد ان تقسم الاقطاعية الكبيرة الى مقاطعات صغيرة.

وبهذه التغيرات الحاصلة في العلاقات الابوية بين الشيخ وابناء عشيرته وبالاخص في محافظة ميسان،ومحافظة واسط، اصبح الفلاح بلا حماية ولا رعاية من قبل شيخه،وهو لا يملك في دنياه غير جهد عمله،وصار يعمل في مقاطعات السراكيل والملتزمين الثانويين، وهؤلاء جل همهم هو الحصول على اكثر ما يمكن من الموارد الزراعية والارباح من جهد الفلاحين.

ولما كانت حصة الفلاح من قسمة الوارد الزراعي،بينه وبين ملاك الاقطاعية،من شيوخ وسراكيل،وضمان ثانويين، قليلة جدا،بحيث لا تسد تكاليف معيشة عائلته السنوية،لهذا كان يضطر الى الاستدانة من هؤلاء بموجب سندات موثقة او كمبيالات يسددها من ثمن حصته الزراعية القادمة، ثم يضطر الى الاستدانة ثانية وثالثة،والى اواخر عمره،وقد يضطر الفلاح الى بيع حصته الزراعية سلفا الى احد التجار في قريته، يسمى (البيع على الاخضر) لقاء تزويده بالمواد



الغذائية كالشاي والسكر، وبعض الاقمشة لكسوته وكسوة عائلته.

وهكذا يظل الفلاح طوال حياته محتاجا ومدينا ومقيدا بسندات التسديد، مما حمله على الهروب من موطن سكناه،واللجوء الى المدن الكبيرة كالبصرة وبغداد العاصمة،بحثا عن لقمة العيش في اي عمل كان،وفي اي مكان استقر.

وقد ظهرت بوادر الصرائف في بغداد في اوائل الثلاثينيات من القرن العشرين وقد شاهدتها وانا ولد صغير، وهي قائمة على الارض المنخفضة المنبسطة المجاورة لمحطة قطار بغداد الشرقية الصاعد نحو مدينة كركوك،إذ كان اهلي يومذاك يسكنون في محلة السور المحاذية للسدة الشرقية المشرفة على هذه الاراضي المنخفضة،وكنت اذهب مع اطفال ابناء محلتنا الى الاماكن القريبة من هذه الصرائف للعب في مياه الآبار التي حفرها بعض المزارعين لزراعة نوع من القثاء لذيذ الطعم،بسبب ملوحة مياه الآبار يسمى خيار مقلع ،وبمرور الايام تكاثرت هذه الصرائف والاكواخ



بالمنطقة حتى اصبحت المحلة،تسمى محلة الخندق،لها مختار ويسكنها بعض سكنة بغداد الفقراء .

وبعد ذلك امتدت الصرائف الى اماكن عديدة من مدينة بغداد في جانب الرصافة والكرخ،حتى شملت ناحية الاعظمية وقضاء الكاظمية،وذلك بسبب كثرة الهاربين من الفلاحين من ظلم شيوخهم الاقطاعيين.

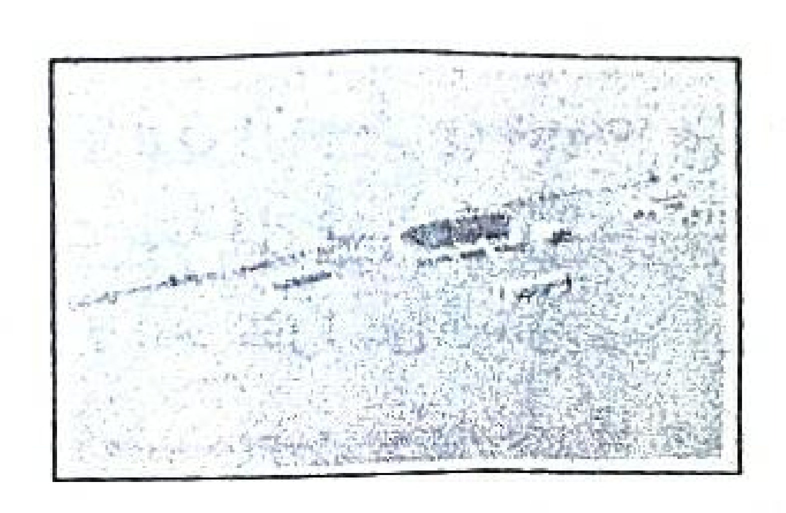
وبتزايد عدد المهاجرين الى بغداد،اخذت تظهر بوادر البطالة بين عمال وشغيلة اهل بغداد،وبالاخص بين عمال البناء وشغيلة المطاعم والمقاهي والفنادق،بسبب مزاحمة المهاجرين الجياع ،وقبولهم بالاجور القليلة عما يتقاضاه ابناء مدينة بغداد، وكان ذلك في مصلحة اصحاب الاعمال.

ولقد ولّد هذا نوعا من الحساسية والكراهية بين اهل بغداد، ضد هؤلاء المهاجرين التعساء، واخذوا يطلقون عليهم اسم الشروك من باب الاحتقار والاهانة، مع العلم انهم حقا شروكا،اي من سكنة شرقي دجلة، والواحد منهم يسمى شركاوي، اي شرقي .

ومن شعرائنا الكبار علي الشرقي، وهو واحد منهم–رحمة الله– وكان من اكبر مواقع الصرائف في بغداد ،الصرائف



المسماة بـ (العاصمة) من باب الزراية،وتسمية الاشياء بغير اسمائها الحقيقية، وتقع في جانب الرصافة وصرائف الشاكرية،وتقع في جانب الكرخ.



وقد غطت (صرائف العاصمة) مساحة كبيرة من الاراضي المنخفضة ما وراء السدة الشرقية التي اقامتها الحكومة لحماية بغداد من الغرق عند فيضان مياه نهر دجلة،وبدايتها من المنطقة القريبة من ساحة النهضة الحالية، وتمتد حتى منطقة البتاوين في الباب الشرقي، ويفصل بين هذه الصرائف متنزه (بارك السعدون) الجميل الذي اقامته امانة العاصمة في العهد الملكي لاهل بغداد.

وبالمناسبة اذكر هنا،اني زرت في عصر احد الايام هذا المنتزه ومتعت ناظري بالوان ازهاره المختلفة، وملأت رئتيّ



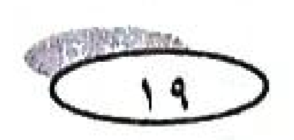
من عطرها الفواح،وأرحت جسمي على مقعد من مقاعدها المريحة،الموزعة بانتظام في مماشيها،تحت ظلال الاشجار، الخفاقة اغصانها باطيب الانسام،واطربت نفسي بسماع اجمل الالحان من زغردة العنادل وهديل الحمام وزقزقة العصافير الخفاقة اجنحتها فوق الاغصان،وبعد ساعة من الزمن، وما زال في الوقت سعة قبل الغروب، اتجهت نحو السدة الشرقية،التي لا تبعد كثيرا عن المتنزه،وما ان وضعت قدمي على ظهرها ومشيت بضع خطوات، وإذا عيناي تصطدمان بمنظر او مشهد يخالف ويضاد بشكل صارخ،كل ما شاهدته في متنزه (بارك السعدون) فإذا بهاتف يهتف بي من داخل نفسي او من اعماق الصرائف التي امامي، ويناديني بهمس ويقول: من اخرجك من الجنة ، واتى بك الى النار؟فأجبته مع نفسي،وقلت بهمس ايضا، رجلاي مشتا وعقلي قد امر،لارى الحياة على حقيقتها،ولكي لا اخدع بقول من قال وادعاء من حكم،ثم عدت الى بيتي،واخذت قلما وقرطاسا،وسطرت كلمات تحت عنوان (جنة ونار) وبعد حين من الزمان،لما اشتد الظلام وعوت الكلاب السائبة،حرقت ما كتبت خوفا من النار!!



اما موقع صرائف الشاكرية، كانت قائمة على ارض تعود للملاك والتاجر المعروف محمد الدامرجي،وللحاج عباس الخضير،في منطقة كرادة مريم،التي كانت قبل ذلك (كمبا) للجيش الانكليزي،الذي احتل بغداد في اثناء حركة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١، وبعد اخلائه من الجيش الانكليزي،حل محلهم اصحاب الصرائف، وسموه (كمب حنيتن).

وفي عام ١٩٤٨ ،حاولت الحكومة في عهد متصرف لواء بغداد- محافظة بغداد- حميد صرصر،اخلاء هذا الموقع من سكنة الصرائف، فارسلت قوة من شرطة السيارة، لهذا الغرض،فواجهتها تظاهرة صاحبه من سكنة هذه الصرائف،وهي تهوس : (كمب حنين عيب يشيل انجب يمفوض).

وعلى اثر هذه التظاهرة، ظلت صرائف الشاكرية في مكانها،وكثر عددها،الى ان ظهر من ازالها، وأزال غيرها من الصرائف في بغداد، واسكن اهلها في بيوت تليق بكرامة الانسان،وهذا ما سنتحدث عنه بعد حين.



وبمرور الوقت استفحل امر الصرائف،واصبحت وصمة عار في جبين العراق، لكل من يشاهدها،ويطلع على احوال ساكنيها.

وفي عام ١٩٥٧ ،ارادت الحكومة ازالة هذه الوصمة من جبين العراق على اثر الزيارة التي قام بها احد وزراء الحكومة البريطانية لبغداد-لا اتذكر الان من يكون هذا الوزير، وقد يكون وزير الخارجية- كما قرأت يومذاك في الصحف المحلية-وقد شاهدت بعد هذه الزيارة للوزير البريطاني عدة مبان لمرافق صحية على السدة الشرقية المشرفة على (صرائف العاصمة) لم تكن موجودة من قبل.

وقد كلفت الحكومة وزارة الاعمار التي كانت موجودة عهد ذاك لدراسة وضع الصرائف في بغداد، وايجاد الحلول المناسبة لها، وقامت اللجنة الخامسة في الوزارة المختصة بشؤون الاسكان، المسماة منظمة (دوكيادس) بدراسة هذا الموضوع، ووضعت خطة لتنفيذه واستعانت لهذا الغرض باستاذ جامعي مختص بالدراسات الاجتماعية، ومفصول من وظيفته التعليمية لاسباب سياسية،مع لفيف من اساتذة الكليات، ،بسبب عرض حال (عريضة) رفعوها الى الحكومة

عن طريق احدى الصحف المحلية،واعتبرت الحكومة ذلــك من الاعمال السياسية،وليس من حقهم ان يتدخلوا فيها.

وكان هذا الاستاذ هو الدكتور عبد الجليل الطاهر،يرحمــه الله،عينته وزارة الاعمار بــاجور يوميــة قــدرها خمســة دنانير،كما علمت يومذاك فاستعان الــدكتور عبــد الجليــل الطاهر ،بدوره، بالمعلمين لانجاز المهمة الموكلة اليه.

وفي احد الايام من عام ١٩٥٧،بُلِّغْتُ بكتاب من مديريــة تربية الرصافة عن طريق المدرسة التي انا معلم فيها، وهي مدرسة الشماســية الابتدائيــة للبنــين، ان التحــق بــوزارة الاعمار،وفي اليوم التالي التحقت بها، فوجدت امامي عــددا كبيرا من زملائي المعلمين،المبلغين بأمر الحضور الى هــذه الوزارة.

اجتمع بنا الدكتور عبد الجليل الطاهر ،وبيّن الغرض مــن استدعائنا للحضور الى وزارة الاعمار،ثم بــين لنــا خطــة العمل،ووزعنا الى لجان عمل،على عدد مواقع الصرائف في بغداد،وكل لجنة من خمسة معلمين وزُوّدتْ كل لجنة بقائمــة من الاسئلة مكتوبة باللغة العربية والانكليزية، كما اتــذكر، لكي نعمل على ضوء التعليمــات فيهــا،ثم نقلتنــا ســيارات



الوزارة الى مواقع عملنا،وكان موقع عمل لجنتنا (صــرائف العاصمة).

بدأت لجنتنا العمل في الحـــال،من اول صــريفة وقفنـــا عندها،حسب التعليمات التي لدينا،فكان سؤالنا الاول لصاحب الصريفة-بعد التحية والسلام عليه وتبيان الغرض من مجيئنا وتوجيه الاسئلة اليه-: عن اسمه الكامل،ثم عن عــدد افــراد عائلته،وعشيرته،وعن موقع موطنه الاول،وعن عملــه فــي بغداد، وعن مقدار كسبه الشهري،وبعد طرح هــذه الاســئلة عليه،نخيره بالعودة الى موطنه الاول،هل يعود؟إذا وفرنا لــه البيت الذي يسكن فيه وعائلته،والارض التي يــزرع فيهــا، والحسينيةاو الجامع الذي يتعبد فيه،والمدرسة التي يتعلم فيها اولاده،والمستشفى او المستوصف الذي يتــداوى فيــه عنــد المرض، فكان جوابه ،وجواب كل من استفتيناهم، كلمــة لا، لا نعود ابدا ما دام هناك شيوخ وملاّك إقطـــاع وســراكيل، ويقولون : ما الذي دفعنا الى هذا الحال والعيش فــي هــذه الزريبة القذرة المظلمة،التي تروتها الان بــأعينكم وتشــمون روائحها الكريهة بأنوفكم؟أليس هو ظلم هؤلاء الاشرار،الذين استغلوا جهودنا،واكلوا ثمار أتعابنا وأجاعونا،واثقلوا ظهورنا



بالديون،ثم دفعونا دفعا الى التشرد والهروب من مواطننا ومواطن آبائنا واجدادنا مكرهين،للبحث عن العمل والحصول على لقمة العيش،والسكن ولو في وسط مجمع القاذورات،قاذورات اهل بغداد،التي يحملها الينا نهر الشطيط ولأثبات صدق ما يقوله هؤلاء المعذبون في الارض ،وهم من صلب اهلينا وشعبنا الكادح المنتج،اثبت هنا ما شاهدته وعشته،عندما كنت معلما في اوائل الاربعينيات من القرن العشرين،وفي ناحية من نواحي محافظة ميسان-لواء العمارة سابقا.

في احد الايام وانا جالس على مقهى الناحية (جايخانة)، جلس بالقرب مني ،ثلاثة اشخاص من فلاحي القرية الساكنين خارج مركز الناحية،وكان معهم كمية من التمر،فأخذوا يأكلون وانا اشاهدهم،فلم أرَ نواة واحدة سقطت من فم احدهم على الارض،فأنهم اكلوا التمر مع النوى.

فعلى ماذا يدل هذا يا اخي الانسان؟أليس يدل على الجوع الدائم والفقر المدقع؟ الذي قال فيه نبي الاسلام ورسول الانسانية محمد (ص) (كاد الفقر ان يكون كفراً)، وقال الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) : (لو كان الفقر رجلا



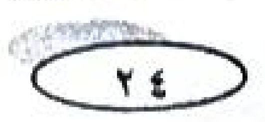
لقتلته) ،وقال الكاتب الاسباني بلاسكو ايبانيز في روايته (رمل ودم)حول مصارعي الثيران،عندما سقط احدهم جريحا وعادته امه العجوز لتراه،وهو في حالة النزع الاخير،فقال لها يا أم : (إن الجوع لأشد الما من قرون الثور).

شعبنا،شعب بلاد النخل والتمر،ويأكل غير قليل من بنيه التمر مع نواه،يوم كان الكيلو غرام من تمر الخصاف الجيد يباع بأربعة فلوس!!!

وكنت انا اشتري التمر لغذائي،وهو من اجود انواع التمور-تمر بدرة- المشهور،المعبأ بالجودان ( أكياس جلدية)،وفي الجود خمس وعشرون كيلو غرام،وسعر الكيس دينار واحد.

وفي مرة اخرى،وأنا جالس على المقهى ايضا،جلس بالقرب مني عدة اشخاص من هؤلاء الفلاحين،ومعهم باقة من البصل الاخضر،ما زالت بطينها ،فأكلوها مع الطين، والله شاهد على ما اقول.

وفي احدى المرات وأنا امشي في سوق الناحية،شاهدت واحدا من هؤلاء التعساء الجياع يمشي امامي،فمد يده وهو يمشي على سلة أحد البقالين،وسحب منها بصلة



خضراء،فصاح به صاحب المحل (جلب بن الجلب) ذبيه،فتركها وراءه وذهب.

أليس من حق هؤلاء الجياع ان يتركوا مواطنهم،ومواطن ابائهم واجدادهم ،ويميموا بوجوههم الى بغداد،وغير بغداد،للبحث عن عمل،وعن لقمة العيش،ويزاحموا اهلها للحصول عليها بأقل اجور،والسكن في ارذل الاماكن ،لتكون قذى ووصمة عار في عيون العراقيين وجبين العراق،ارض الخيرات والثروات.

وفي عصر يوم صفيي من عام ١٩٥١،كنت اتمشى في منطقة شيخ عمر السهروردي،والروائح الكريهة تملأ الجو من فضلات (مذابح الانعام) -المصالخ- التي تغطي دماؤها وبقايا احشائها،الارض المحيطة بها،مر بالقرب مني احد ابناء الجنوب،عرفته من قيافته،وسلمت عليه وسألته من أين انت يا ابن العم؟ فأجابني من ناحية (أم عين) وانا اعرفها جيدا،وتسمى ايضا (مجر الصغير) ،لان هناك ناحية اخرى تسمى (المجر الكبير) ،فأردت التحرش به واثيره،فقلت له: هل عندكم مثل هذه الرائحة الكريهة التي هنا؟ فقال : لا والله يا عم ،ولكن ما عندنا (خبيزة) اي خبز وجئت الى هنا. ثم

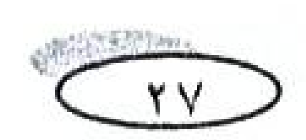
اخذ يسترسل في الكلام،فقال في سنة ١٩٣١ جئت الى بغداد،واشتغلت في معمل للسكاير،ثم رجعت الى اهلي،وبعد ان جمعت مقدارا من الدراهم،والان جئت الى بغداد لابحث عن عمل،لعل احد اقربائي هنا يجد لي عملا (كفريش ) اي فراش في احدى دوائر الحكومة.

هذه صورة واقعية اجتماعية اختزنتها الذاكرة منذ عشرات السنين،عن حياة واحوال ابناء شعبنا الفقراء من فلاحين وعمال وكسبة عاطلين،في عهد الاقطاع والنظام الملكي البائد،وكيف تغيرت وتحسنت احوالهم ،بعد قيام النظام الجمهوري على اثر ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨،والتي سنتكلم عن بعض منجزاتها الاجتماعية،بعد الانتهاء من حديثنا عن سكان (صرائف بغداد) وبعد ان انتهينا من اكمال جولتنا بين (صرائف العاصمة) وتسجيل نتائج استفتاءنا لسكانها،ومعرفة الاسباب الحقيقية لقيام هذه الصرائف، والصرائف الاخرى في بغداد العاصمة والمحافظات العراقية الاخرى، أسجل هنا بإيجاز ، ما شاهدته ولمسته بجسمي وحواسي كلها لا كما يقال : لمسته لمس اليد.



وإني اقول ابتداءا ،والصدق اقول: ان قلمي الكليل وخيالي القاصر، لعاجزان في ايفاء حق كل ما شاهدته من وصف وتعليل، وانما يحتاج الى قلم، كقلم الشاعر الايطالي الاعمى (دانتي) ،والى خيال كخياله في وصف الجحيم واهله، في ملحمته الشعرية المعروفة (الكوميديا الالهية) اي (المهزلة الالهية) ،ولكن اقول: إن هذه الصرائف،هي التعبير الصادق لواقع حال شعبنا العراقي عامة في ظل الحكم الملكي الاقطاعي المتخلف الفاسد، حيث كان الالوف من الفقراء والمشردين في العاصمة بغداد، ينامون ليلا على ارصفة الشوارع وعلى الجسور.

وفي احدى الليالي من صيف عام ١٩٥٣،قمت مع صديق من اصدقائي المشغولين بهموم الناس، بعد ان انتهينا من سهرتنا في شارع ابي نواس بين المتنعمين بملاذ الحياة،بأحصاء عدد المشردين الجياع المنطرحين في العراء على طريق السابلة وعلى جانبي جسر الشهداء، فأحصيناهم فكان عددهم يزيد على السبعين متشردا،وهم من مختلف الاعمار بين كبير وولد يافع، ولا اريد هنا ان اتحدث عن



المخاطر الاخلاقية التي تحدث بين هؤلاء الخليط من المتشردين.

والان اعود الى حديثنا في وصف حال (صرائف العاصمة) فأقول : انها تقع في وسط مستنقع آسن ،يصب فيه مجرى ماء قذر يسمى نهر الشطيط المتكون من تجمع المياه القذرة لسكان البيوت القريبة من موقع الصرائف، ومعنى هذا ان سكنة الصرائف هذه، يعيشون وسط مستعمرة من الهوام والحشرات والزواحف والقوارض،والبعوض والحرمس والبراغيث والزنابير والصراصر والعقارب والافاعي والفئران والجرذان والضفادع فضلا عن الصؤاب والقُمل،لعدم توفر المياه اللازمة للنظافة،والكلاب السائبة والروائح الكريهة التي تملأ الجو وتزكم الانوف وتمزق الصدور المنبعثة من هذا المستنقع الاسن،ليلا ونهارا ،شتاءا وصيفا.





ومَا علينا نحن ابناء البيوت العامرة والقصور الفارهة، التي تحيط بها الحدائق الغُنّ، الزاهية باشجارها وفسائل اورادها،ولدينا وسائل الراحة والحماية والوقاية من اذى الحشرات والقوارض والزواحف، ان تتذكر حال سكان هذه الصرائف،اذا ما اراد البعوض او الحرمز، في ليلة من الليالي، ان يداعبنا بلدغاته او قرصاته او لسعاته،ويسرق من اعيننا النعاس،ويحرمنا من لذة النوم،ويحملنا على حك وهرش اجسادنا من لسعاته المؤلمة ان نقول مع انفسنا: الله يساعدكم كيف تقضون ايام عمركم وسط هذه الملايين من الحشرات والهوام، وكيف يكون حال اولادكم الصغار؟

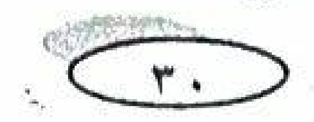
فما اكثر صبركم وبلاؤكم ايها المعذبون في الارض؟!!



كما ان سكنة هذه الصرائف محرومون شرب مياه انانيب الصافية المعقمة، ومن الاضاءة العامـــة، ولـــو بالمصـــابيح النفطية،ومن المرافق الصحيةالخاصة والعامـــة، ولنتصـــور كيف سيكون حالنا نحن ابناء البيوت الفارهة، لو حرمنا يوما واحدا من هذه الضرورات الاولية المهمة في حياة الانســـان؟ ولنحمد الله عند ذاك على نعمه وافضاله علينا، ولنقرأ سورة الفاتحة على ارواح الاحياء الموتى من ابناء شعبنا التعســـاء، ان لم نسع بجد واخلاص الى انقاذهم مما هم فيه.

واما وضع الصرائف، فمساحة الواحدة منهـــا لا تتجـــاوز الخمسة امتار طولا وثلاثة امتار عرضا، وسقفها لا يعلو عن سطح الارض اكثر من قامة رجل ويسكنها خمسة او اكثـــر من الاشخاص، رجالا ونساءا واطفالا، ولنتصور كيف يكون حالهم عند النوم ليلا، واكثر هذه الصرائف متلاصقة بعضها ببعض او متقاربة بينها ممرات ضـــيقة لا تصـــلح لمـــرور العربات.

اما حالة الصرائف عند حدوث الرياح الشديدة والعواصف العاتية والامطار الغريزة، او عندما يجتاحها فيضـــان نهـــر دجلة،فحدّث عنها ولا حرج،اما معاناة اهلها، فلا احد غيرهم



ادرى بها، والمثل العربي يقول: لا يعرف الداء الا من يعانيه. وقبل الانتهاء من حديثي القاصر عن (صرائف العاصمة) واحوال اهليها،اذكر هنا، حالة معيشة لواحد من ساكنيها ،للعبرة والتاريخ.

مررنا بصريفة مكونة من بارية او نصف بارية،يسكنها شخص واحد طاعن في السن،سألناه عن مقدار دخله الشهري،فلم يجب على سؤالنا، وانما التفت الى الوراء وانساح الى وسط صريفته، ثم اتانا وبيده قدر صغير من الفانون مبعّج الاطراف،ومسوّد من سخام الدخان، ووضعه امام اعيننا، وقال هذا مقدار دخلي واكلي، وعندما نظرنا الى ما في داخل القدر،فإذا هي عضود سلق مثرومة ومغلية بالماء، يجمعها من بين النفايات لتكون غذاءه اليومي بعد سلقها، يوم كان يباع الكيلو غرام من السلق بفلسين، هذا مثال صادق لواقع حياة الكثير من ابناء شعبنا الساكنين في الصرائف وغير الصرائف،في العهد الملكي المظلم، وما سبقه من عهود الظلام .

والان لنبدأ الحديث عن كيفية القضاء على ظاهرة الصرائف في بغداد وكيف ازيلت؟



فنجيب اولا، عن متى ازيلت هذه الصرائف،فنقول : انها أزيلت بزوال النظام الملكي في العراق،وقيام النظام الجمهوري في يوم ١٤ تموز من عام ١٩٥٨،على اثر ثورة وطنية ،قام بها الجيش العراقي وباسناد شعبي قوي، وبقيادة رجال صدق من الضباط الاحرار،لتخليص البلاد من الظلم والفساد،ومن تسلط المستعمرين الاغراب، فكانت البشارة الاولى، للكادحين والمظلومين من سكنة الصرائف والاكواخ، والمساكين الجياع والمشردين في الافاق، وقد اصبح خلاصهم مما هم فيه آت قريب ان شاء الله وبعونه،حسب ما كانوا يأملونه ويتمنونه في قرارة نفوسهم،وقد تحقق ذلك بعد فترة غير بعيدة،بعون الله وقوته وبتأييد ومناصرة هؤلاء الفقراء والجياع، والمظلومين من ابناء الشعب الطيبين وكان من حسن ظنهم بالثورة، وتأييدهم لمبادئها الوطنية والانسانية، ان تولى امر قيادتها واحداً منهم،يؤمن بحق شعبه كل شعبه ويحبهم جميعا، ومن اهدافه الاولى في سياسته الوطنية الداخلية القضاء على عوامل الفقر، ورفع مستوى الفقراء الى مستوى الاغنياء العادل، وهذا دليل على صدقه الوطني ونبله الانساني، ووعيه السياسي وقد بذل كل جهده ووقته لغرض



الوصول الى هذا الهدف النبيل، ولتحقيق ما تصبوا اليه نفسه الانسانية الكريمة،لولا مؤامرات الاشرار من اهل البلد،ودول الاعداء، الذين فقدوا مواقع تسلطهم ونفوذهم علـــى سياســـة العراق وعلى مصادر ثرواته، وتمكنوا بالاخير من الغدر به، بكل خسة نفس ودناءة خُلقٍ فحرموا بذلك الشعب العراقي من تحقيق طموحاته في الحرية الانسانية الكاملة ،وفـــي العدالـــة الاجتماعية.

وفي خطبة من خطب هـذا الرجـل المـؤمن والمحـب لشعبه،والزاهد في عيشه والصادق في قوله ،المهذب اللسان ولم يفحش في الكلام،قال: (اني ساقضـــي علـــى الاكـــواخ) وسكت ولم يطل بالكلام.وكل من سمعه تساءل مع نفسه،كيف سيقضي على الاكواخ التي تملأ الرحب في اطراف بغـــداد، وقد يتجاوز عددها عشرات الالوف، وساكنيها مئات الالوف، واين سيذهب بهم اذا انقض اكواخهم واخرجهم منها؟؟؟

ولكن جواب هذه التساؤلات ،ومصداقية تحقيـــق قولـــه : (اني سأقضي على الاكواخ) كانت تعيش منذ زمن بعيد فـــي وجدان هذا الرجل الوطني الغيور المحب الصـــادق لشـــعبه وابناء جلدته.



وانه قبل القيام بنقض صرائف واكواخ بغداد، اقام مشـــروعا اروائيا استراتيجيا،وذلك بحفر قناة مائية عرضـــها حـــوالي المترين وعمقها مترا او اكثر قليلا، وطولها خمس وعشرون كيلو مترا، يبدأ صدرها من نهر دجلة شمالا، فـــي المنطقـــة التي تسمى (الفحامة) ونهايتها حيث المصب في نهر ديـــالى جنوبا، قرب منطقة الرستمية، وقد رافق حفر هذه القناة ،مـد طرق موازية لمجرى القناة من البداية حتى النهاية ،في كـل جانب منها طريقان،واحد للذهاب والاخــر للايـــاب، وهـــي عريضة ومفروشة بالخرسانة المسلحة ومكسوة بالزفت،ذات صيانة ذاتية لعشرات السنين.

وقد تركت مساحة من الارض الترابية،بين مجرى القنـــاة وطرق السير لزراعتها باشجار الظل والاوراد على طـــول مجرى القناة ،لتكـــون متنزهـــا وحزامـــا اخضـــر لمدينـــة بغداد/الرصافة.

وقد اقيم هذا المتنزه وانشأت فيه (الاكشاك) للباعـــة،وزود بالمقاعد المريحة،وباجهزة التلفاز ،حتى صار متنزها جمـــيلا رائعا حقا،تمتع به المواطنون حينا من الزمن، ولكن سرعان ما اتى عليه الخراب حين تسلط الاشرار على الحكـــم عـــام



١٩٦٣، فسرقت مقاعد الجلوس واجهزة التلفاز والاكشاك والاشجار، وعبث بمسطحات الازهار واشجار الاوراد.

كما اقيم فوق مجرى القناة والطرق،جسور معلقة على مسافات مناسبة لعبور المارة بين الجانبين.

وقد سميت هذه القناة بـ(قناة الجيش) تيمنا وتثمينا، لما قامت به الاجهزة الفنية في الجيش، حيث اسهمت اسهاما فعالا في حفر القناة وفتح الطرق، واقامة القناطر على القناة والجسور المعلقة.

وقد تم انجاز هذا المشروع الفني الكبير كله خلال سنة واحدة، وفي الوقت الذي تم فيه انجاز عمل القناة،تم انجاز بناء عمارة سكنية كبيرة تضم حوالي (٩٥٠) شقة سكنية لنواب الضباط في الجيش،على الارض القريبة من موقع (صرائف العاصمة).

وعندما توفر الماء بفتح قناة الجيش، وتمهدت سبل المواصلات على الطرق الحديثة على جانبي القناة، بدأت الحكومة بتوزيع الاراضي الفسيحة المجاورة لصرائف العاصمة والقناة، على عوائل سكنة صرائف واكواخ مدينة بغداد كلها، وكان هذا التوزيع وفق تخطيط هندسي عمراني



حديث في بناء المدن،حيث قسمت هذه الاراضي الفسيحة الى مئة قطاع،وفي كل قطاع الف بيت، ومساحة كل بيت مئة واربعون مترا، مع ترك مساحات مناسبة من الارض الخلاء، لبناء المرافق العامة والمؤسسات الحكومية، واماكن العبادة ، والاسواق والمدارس والمؤسسات الصحية والخدمية والامنية، مع فلك وساحات عامة، واعطت لكل عائلة مئتي دينار مع دبلين من الطابوق لغرض البناء.

وعند ذلك ،شمرت كل عائلة من سكنة الصرائف عن اذرعها رجالا ونساءا ، كبارا وصغارا، وقاموابيناء بيوتهم مع خلفات اواسطوات البنائين،ولم تمض سنة على بدء العمل بالبناء، الا ونهضت الى الوجود مدينة عصرية مكان الصرائف والاكواخ العفنة والمظلمة،عامرة باهلها ،مضاءة بيوتهم وشوارعها بالمصابيح الكهربائية ويشربون ويغتسلون بماء الحنفيات المصفى والمعقم.

وقد سميت هذه المدينة باسم (مدينة الثورة) تيمنا باسم ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ وتعتبر من اهم منجزاتها الاجتماعية.



وفي الوقت الذي اقيمت فيه مدينة الثورة في القسم الجنوب الشرقي من رصافة مدينة بغداد،أقيمت مدينة اخرى لسكنة الصرائف والاكواخ في القسم الشمال الغربي من كرخ مدينة بغداد، على نفس الطريقة والاسلوب الذي اقيمت فيه مدينة الثورة، وقد سميت هذه المدينة بـ (مدينة الشعلة).

وبذلك تحققت مقولة الزعيم عبد الكريم قاسم : (سنقضي على الاكواخ) وازيلت من جبين العراق وصمة العار هذه. وبالقضاء على الاكواخ في مدينة بغداد، تهيأت السبل للقضاء على اسباب الفقر، ولتحقيق مقولة الزعيم عبد الكريم الثانية : (سنقضي على الفقر،ورفع مستوى الفقراء الى مستوى الاغنياء).

وقد بينا ابتدءا وقلنا ان من اهم اسباب فقر الفلاحين، وحملهم على ترك مواطنهم الاولى واللجوء الى بغداد وغيرها من مدن العراق،هو ظهور النظام الاقطاعي في العراق اثناء الاحتلال الانكليزي للعراق في الحرب العالمية الاولى، وتحول بعض شيوخ العشائر في الجنوب،الى ملاك ورجال اقطاع، عندما فوضتهم الحكومة الملكية العراقية،حق التصرف في الاراضي الاميرية العائدة الى الدولة، بموجب



قانون اصدرته باسم: (قانون الاراضي المفوضة بالطابو،واراضي المعطاة باللزمة).

فقامت حكومة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بالغاء هذا القانون،وانتزاع الاراضي الاميرية من ايدي هؤلاء الشيوخ،وتوزيعها على الفلاحين بموجب (قانون الاصلاح الزراعي) الذي سنته بهذا الخصوص.

وبذلك تهيأت سبل العمل لالوف الفلاحين في زراعة اراضي تعود لهم وحاصلها جميعه يعود لهم فقط،وهكذا ارتفع مستوى معيشة عشرات الالوف من عوائل الفلاحين من مستوى دون الفقر الى مستوى الكفاية والحياة المستقرة.

وللقضاء على عوامل الفقر، وللحد من تدميره، قامت حكومة الثورة بإنشاء كثير من المصانع الانتاجية المهمة،في انحاء العراق المختلفة، ووفرت العمل للالوف من الايدي العاملة العاطلة.

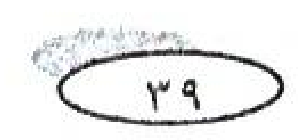
ولتسهيل طرق إلمواصلات بين المدن العراقية،قامت حكومة الثورة بتعبيد طريق بغداد- كوت- العمارة، وتبليطه، الذي عجزت حكومات العهد الملكي عن تنفيذه،رغم محاولاتها الكثيرة، وكذلك عبّدت وبلطت طريق بغداد-



كركوك،وقامت بمد سكة حديد بين كركوك و اربيل،و إيصال خط سكك حديد بغداد-البصرة، الى الخليج العربي عبر الاهوار وانشاء ميناء ام قصر عليه. وبنت الثورة كثيرا من المدارس والجامعات والمستشفيات كمستشفى (مدينة الطب) وجامعة بغداد في الجادرية.

كما انشأت عدداً من الجسور منها الجسر المعلق من جهة الكرادة الشرقيةوجسر الاعظمية، كما انشأت حكومة الثورة ملاجئ للمشردين وللنساء المنحرفات لتأهيلهن للحياة الشريفة، وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية المفيدة، هذا في بغداد، اما في بقية المحافظات فقد أقيمت فيها مشاريع صناعية وعمرانية وثقافية مهمة كثيرة لا مجال هنا لذكرها.

ولحماية مستخدمي الدولة كالفراشين والعمال الدائميين وافراد الشرطة والجنود في الجيش، من الوقوع في فخ الفقر والحاجة عند الكبر وفصلهم عن العمل، جعلت لهم حكومة الثورة حق التقاعد كموظفي الدولة، بعد اكمال المدة القانونية في الخدمة، وكانوا محرومين من هذا الحق في العهود السابقة كلها.



ان ما ذكرناه آنفا من اهم منجزات ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الاجتماعية. اما منجزاتها السياسية في الداخل، فقد اعطت للشعب حقوقه الكاملة وحريته المطلقة في انشاء الاحزاب السياسية والجمعيات الثقافية والنقابات المهنية. واصدار الصحف باسم الاحزاب او الجمعيات او الافرد. على اختلاف اتجاهاتهم السياسية وميولهم الفكرية، وهذا مما اغاض اعداء الثورة وعلى منهجها التحرري، من بقايا جلاوزة وجواسيس الحكم الملكي البائد، ومن عملاء الاستعمار الانكليزي والامريكي، الذين تلبسوا جميعهم كذبا وزورا، بلباس القومية والدعوة الى الوحدة الفورية مع مصر وسوريا التي كانوا يعادونها اشد المعاداة، ويحاربونها بقوة وقسوة، قبل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التحررية.

واخذوا يحاربون الزعيم عبد الكريم قاسم ويصفونه بالشيوعية وبالشعوبية ويتهمون الشعب العراقي المتمسك بحريته وديمقراطيته، والملتف حول قائد مسيرته عبد الكريم قاسم، بالعملاء على حد قول الرئيس المصري جمال عبد الناصر، هذا الشعب الذي ضحى بالعشرات من شبابه في سبيل تأييد ثورة الشعب المصري، ضد نظام الحكم الملكي

في بلاده عام ١٩٥٢، وفي وقوفه ضد الاعتداء الثلاثي على مصر، واحتلال قناة السويس من قبل الجيوش الانكليزية والفرنسية والاسرئيلية عام ١٩٥٦.

وان الزعيم عبد الكريم قاسم،هو الزعيم العربي الوحيد، الذي احب شعبه كل شعبه حبا مخلصا، كما بينا ذلك من خلال منجزات حكومته في العراق، التي ذكرناها آنفا، وهو الزعيم العربي الوحيد الذي احب امته العربية، كحبه لشعبه العراقي، فقد مد الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي بالمال والسلاح حتى النصر، وقدطالت عدة سنوت، وبالاخير اندحر الاستعمار الفرنسي الشرس، الذي جثم على صدر الشعب الجزائري اكثر من مئة وثلاثين عاما، وحاول خلاله فرنسة الجزائر، والقضاء على اللغة العربية فيها.

ولم يجحد الشعب الجزائري المجاهد ولا قادته هذا العمل المجيد من قبل الشعب العراقي وقائد مسيرته عبد الكريم قاسم.

كما ان الزعيم عبد الكريم قاسم ،هو القائد العربي الوحيد،الذي ناصر الشعب الفلسطيني بحكمة ودراية واخلاص، وهيأ له قاعدة صلدة للنضال ضد الاحتلال



الاسرائيلي الصهويني لارضـــه المقدســـة ،فلســـطين ارض الاسراء،واولى القبلتين وثالث الحرمين، حيث تشكلت علـــى ارض العراق،اول منظمة فلسطينية ،بكل مقوماتها الادرايـــة والتنظيمية والتدريبية ،لتنظيم وتدريب وتهيئـــة المجاهـــدين الفلسطينين لتحرير وطنهم فلسطين من ايدي الدخلاءالصهاينة المستعمرين، وامدها الزعيم عبد الكريم قاسم،بكل ما يلزم من لباس وعتاد وغذاء، وكان يقول دوما" ان ارض فلســـطين لا يحررها الا اهلها" ويردد المثل العربي القائل (ما حك جلدك مثل ظفرك).

اما سياسة الزعيم عبد الكـــريم قاســـم مـــع دول العـــالم الاخرى، فكانت قائمة على الاحترام والمصالح المتبادلة فيما بينهم والعراق.

ومع هذا الوضوح كله والعلنية في سياسة عبد الكريم قاسم لم يرتح له المستعمرون وبعض حكام العرب الاذناب لهـــم، والاشرار من عملائهم داخل العراق، ومن سياسة نظام حكمه الوطني الديمقراطي التحرري، فظلوا يتآمرون عليه طـــوال خمس سنوات من وجوده علـــى رأس الســـلطة ، وحـــاولوا اغتياله عدة مرات الى ان تمكن المستعمرون مـــن ايصـــال

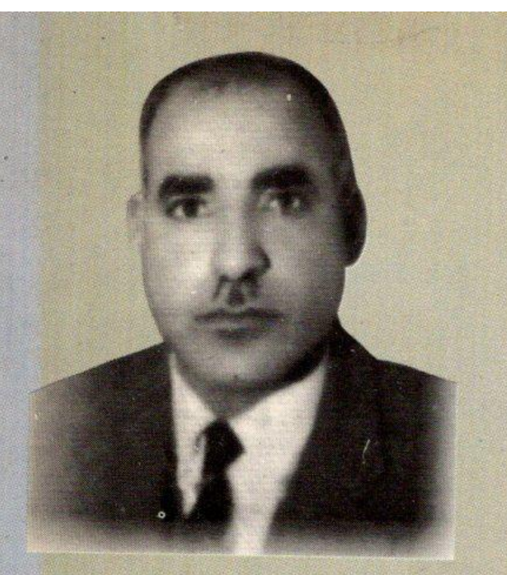


عملائهم الاشرار الى السلطة في ٨ شباط ١٩٦٣ فغدروا بالزعيم عبد الكريم قاسم وبرفاقه الوطنيين الاحرار، بدون محاكمة ،ثم اغاروا بوحشية ضارية على ابناء شعبنا الابرار، فقتلوا منهم الالوف واعتقلوا مئات الالوف،رجالا ونساءا، في زنزانات مظلمة، وساموهم اشد انواع العذاب الجسمي والنفسي،يعجز القلم واللسان عن وصفه.

وقد ارتكبت هذه الجرائم البشعة كلها ،بحجة محاربة الشيوعية،وباسم القومية و الوحدة العربية، وقد اعترف قادة هؤلاء الاشرار الجناة علنا، انهم جاءوا بقطار امريكي الى السلطة.

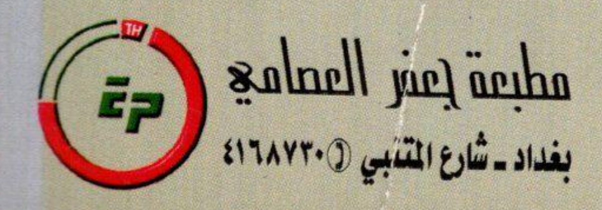
وهكذا تمكن المستعمرون الانكليز والاميركان عن طريق عملائهم من الانتقام من الذين اخرجوهم من العراق بذلة، وقضوا على حلفهم الاستعماري،حلف بغداد، وعلى مواقعهم العسكرية ،وانتزعوا من ايدي شركاتهم النفطية الكبرى، حق استثمار ٩٨% من الاراضي العراقية، وبذلك تحققت نبوءة احدى الصحف الاستعمارية الانكليزية،غداة قيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ بقولها: (يجب ان يعاد الحصان الناد-اي الهارب- الى اصطبله) وقد عاد فعلا في ٨ شباط ١٩٦٣،





* بكر مصطفى السالم .
* ولد في بغداد عام ١٩٢١م .
* خريج كلية الحقوق عام ١٩٥٠م .
* انتقل الى أكثر من مكان وظيفي كمعلم .
* هاجر الى لبنان .
* عاد الى بغداد عام ١٩٤٥م حيث مارس وظيفة مدير مدرسة ابتدائية.
* تأثر بمجموعة مفكرة ومثقفة عن طريق الكثير من النشريات الفكرية والثقافية آنذاك وتأثر بالعديد من الكتاب والمفكرين وعلى راسهم الكاتب (احمد حسن الزيات) .
* عضو مؤسس لنقابة المعلمين العراقيين.
* حالياً متقاعد.
* أصدر المؤلف الكتب التالية:

- مقالات في الرصافي بشرح قصيدة (لو.. الرصافية).
- صلاح الانام بصلاح الحكام .
- ضوء القلم في فري الظُلم .
- وجوه أدبية (عن كبار الشخصيات الادبية العراقية).
- الصرايف في بغداد.. عن دار الحوراء ٢٠٠٥ .


مطبعة جعفر العصامي
بغداد ـ شارع المتنبي ✆ ٤١٦٨٧٣٠

لوحة الغلاف للفنان الفوتوغرافي (عادل قاسم)